شاهدت قبل أيام "فيديو" قصيراً عن قرية تركية تتعامل بلغة الصفير. ليست المرة الأولى التي أراه فيها، ولكنها المرة الأولى التي يوحي لي بكتابة مقال (خصوصاً بعد أن علمت عن دور النساء في ظهورها).هذه القرية تدعى "كوش كوي" وتقع فوق الجبال المطلة على البحر الأسود. وعمق الأودية التي تقسمها، ابتكر أهلها لغة تعتمد على الصفير للتفاهم عن بعد. فبدل بعث مرسول يصعد الجبال وينزلها، وبدل الصراخ بكلام لا يصل للطرف المقابل من الوادي، طور أهلها لغة صفير خاصة لا يكاد يفهمها غيرهم (جرى ضمها مؤخراً إلى قائمة اليونسكو للتراث الثقافي).وهي لغة مشفرة لا تعتمد على الكلمات بل على التصفير بنغمات مختلفة الطول والنوعية، تتضمن معاني كثيرة كطلب المساعدة أو سرعة الحضور أو فعل أشياء متفق عليها.الطريف في الموضوع أن لغة الصفير تبرع فيها النساء أكثر من الرجال ـ وغالباً ما يضطر الرجال إلى الاستعانة بالنساء لترجمة المقصود أو بعث الصفير المطلوب. ومهارة النساء في هذه اللغة تجعلني أفترض أنهن من اخترعها أصلاً ـ إما لاستثناء الرجال أو الطلب من الجارات والقريبات الانتباه للبيت والأطفال لتأخر الأم في الحقول!!والحقيقة هي أن لغة الصفير التركية ليست اللغة النسائية (أو شبة النسائية) الوحيدة في العالم. ففي الصين القديمة كانت النساء محرومات من حقوقهن لذا ابتكرن لغة مشفّرة للتواصل بينهن تسمى لغة النوشو (وإن كان الرجال يدعونها لغة الحقيرات). نادراً ما يفهمها الأزواج والأبناء وتتوارثها البنات عن أمهاتهن من خلال قسم ووعد شرف بعدم تعليمها للأزواج أو الأبناء. وبمرور الأجيال تطورت هذه اللغة بحيث أصبحت تملك أحرفاً ورموزاً تتداولها النساء فيما بينهن أو يطرزنها سراً فوق الأقمشة والملابس. وكانت لغة النوشو في الصين تخيف الرجال وتوحي لهم بوجود مؤامرة نسائية (خصوصاً أن بعض الملابس النسائية كانت تحمل تعاويذ رجالية) ولهذا السبب تم تحريمها وإعدام ممارساتها أثناء الثورة الثقافية في الستينات.أما في جزر الكاريبي فما يزال السكان (الأصليون) يستعملون ثلاث لغات من غير المقبول اجتماعياً الإلمام بها كلها. فهناك مثلاً لغة خاصة بالنساء من العيب أن يتحدث بها ـ أو حتى يفهمها ـ الرجال. ولغة ثانية خاصة بالرجال يتحدثون بها بينهم أو في الاجتماعات الخاصة بالقبيلة،

Summarized by © lakhasly.com